﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيان أنّ الخير في أمر الله للمؤمنين، وأنّه يحقّ الحقّ، ويمحق الكافرين

لمّا تغلّبَ المؤمنون على جزعِهم وقِلّةِ حزمِهم، فامتثلوا، وخرجوا على كُرهٍ منهم، أقبلَ اللّهُ تعالى عليهم بخطابهم أن يتذكّروا تلك الفترةَ بالاعتبارِ منَ المُفارقةِ بين مُرادِهم ومُرادِ اللّه، وأنّهم لوُكِلوا إلى رغباتِهم ما تحقّقَ لهم هذا الخيرُ العاجلُ بتمكينِ المؤمنين وغَلَبَةِ الكافرين، والخيرُ الآجِل بالمغفرةِ لأهل بدرٍ المُبَشَّرين بالجنّةِ والفوزِ الكبير.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾: مُثنّى طائفَة، مِنَ الجذْرِ: (طوف) وهو أصْلٌ يَدُلُّ على دَوَرانِ الشَّيْءِ على الشَّيْءِ، وأنْ يُحَفَّ به. فأمّا الطّائِفَةُ مِنَ النّاسِ فكَأنَّها جَماعَةٌ تُطيفُ بالواحِد أو بالشَّيْءِ، فهي الجماعة مِنَ النّاسِ، والطّائِفَة منَ الشّيءِ: القطعة منه[1].

ومعنى التّركيب ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾: العيرُ مِنَ القافِلةِ المُتّجِهَةِ إلى مكّة أو الظَّفرُ بالنَّصر على عَسكرِ قريش[2].

2) ﴿ٱلشَّوْكَةِ﴾: الشّوكة: الواحِدةُ منَ الشّوك، وأصلُ اللّفظِ يدلُّ على خشونةٍ وحِدَّةِ طَرَفٍ في الشّيءِ، ويُشتَقُّ من ذلك الشّوكَة، وهي شِدّةُ البأسِ والقوّة، والمرادُ: الفئةُ القويّةُ ذاتُ البأس، وهي طائفةُ النَّفيرِ ذاتُ السِّلاح[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (طوف).
(2) البغوي، معالم التنزيل: 272/2.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شوك)، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 633/1.

3) ﴿يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾: أصلُه من (حَقَّ) الّذي يدلُّ على إحكامِ الشّيءِ وصحّتِه، ويُقال: أحققتُ كذا؛ أي: أثبَتُّه حقًّا، أو حكمتُ بكونِه حقًّا. وإحقاقُ الحقِّ: تثبيتُه بالحُجّة، وتأييدُه بالقوّة[1].

4) ﴿دَابِرَ﴾: مِن (دبَر)، وهو أصلٌ يدلُّ على آخِرِ الشّيءِ وخِلاف قُبُلِه، والدّابِر هو الآخِر. ودابِرُ الكافرين: آخِرُهُم وبَقيّتُهُم، كما أنَّ دابِرَ الشّيءِ آخِرُهُ الباقي منه[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إرادة الله بتقدير يوم الفرقان، لاستئصال الكفر بنصر أهل الإيمان

اذكروا أيّها المؤمنون - مُمتَنّينَ - حالَكم مع وعدِ اللّهِ لكم بإحراز إحدى الطّائفتين: طائفة العيرِ، وما تحمِلُه مِن أرزاقٍ، أو طائفة النّفيرِ؛ وهو قتالُ الأعداءِ والانتصارُ عليهم، والحالُ أنّكم تحبّون إحرازَ العيرِ؛ لعدم القتالِ فيه، واللّهُ يريدُ إعلاءَ دينِه بقِتالكم للكافرين وإهلاكَهم بمعونتِه لكم، وإظهارَكم عليهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو على الاستئناف في: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾:

تحصيل النّصر والتّمكين، كان بالمواجهة الحربيّة بين الجيشين

جملةُ ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ﴾ استئنافيّةٌ مسوقَةٌ للامتنانِ عليهم، بتذكيرِهم بمَآلِ إرادةِ اللّهِ فيهم منَ الخيرِ والنّصر، ومُفارَقَةِ ذلك مع حالِهم حينئذٍ منَ الجزعِ وقلّةِ الصّبرِ والحزم، فلو كان المؤمنون قد وُكِلوا إلى ما يَوَدّونَه من اختيارِ الغنيمةِ السّهلَةِ، لَما حصَلَ لهم تلك المصالحُ والمآثِرُ الجَمّةُ من امتثالِهم لإرادةِ اللّهِ العزيزِ الحكيمِ، وتقديرُ الخطابِ: (اذكروا وقتَ وعدِ اللّهِ إيّاكم إحدى الطّائفتين)،

بلاغة الالتفاتِ منَ الغيبة إلى الخطاب:

وأسلوبُ الامتنانِ جرى بطريقِ التّلوينِ والالتفاتِ منَ الغيبةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (حق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دبر)، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 633/1.

للخطاب[1]، فقد أخبرَ عنهم بأسلوب الغيبةِ في قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾؛ لاشتمالِ ذلك على ما ليس كاملًا في أوصافهم منَ الكراهيةِ المذكورةِ، فأخبر عنهم، ولم يُخاطبهم؛ لئلّا يُخجِلَهم، ثمّ التفتَ إليهم بالخطابِ؛ لأنّه استذكارٌ لموضعِ امتنانِ اللّه ولطفِه بهم، فكان أدعى لخطابهم؛ لأنّهم امتثلوا حينئذٍ، فكانوا على أكملِ الأحوالِ، فكان الخطابُ إيناسًا لهم ومَسَرّةً.

نِعَمُ اللّه على عباده غزيرةٌ، ومِنَنُهُ مُستَحِقّة جديرةٌ

نكتةُ حذفِ العاملِ في: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾:

حذفُ العاملِ (واذكر) من قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾؛ لكفايةِ الخطابِ في ﴿يَعِدُكُمُ﴾ عنه في حصولِ التّذكّرِ؛ لأنّ سوقَ الكلامِ في صورة الخبرِ يكفيهم - وهُم منَ البدريّين المغفور لهم - في التقاط إشارته، واللّبيبُ تكفيه الإشارةُ ولا يحتاج إلى التّصريح؛ لأنّ التّصريحَ إحراجٌ لهم، ففيه مراعاةُ اللّه لخواطرِهم ألّا يُجابِهَهم بما يُخجِلُهُم، وحيثما كان المقصودُ واضحًا كان الإيجازُ كافيًا. وأمّا قومُ هودٍ وثمودَ في قوله تعالى لهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ﴾ فقد كانوا غافلين كافرين فلا يكفيهم التّلميحُ، فقرَعَ آذانَهم بصريح اللّفظ لعلّهم يذكّرون، فأطنبَ بذكر العاملِ، والبلاغةُ مراعاةُ مقتضى الأحوال بما يناسبُها في أسلوبِ الخطابِ واصطفاءِ التّراكيبِ.

حيثما كان المقصودُ واضحًا، كان الإيجازُ كافيًا

إيثارُ الفعلِ ﴿يَعِدُكُمُ﴾ دون مرادفاته:

اصطفاءُ الفعلِ ﴿يَعِدُكُمُ﴾؛ لتنزيلِ الغائبِ المجهولِ منزلةَ الحاضرِ المأمولِ، فقد كانوا يخشونَ الهلاكَ للمفارقة العدديّة ولعدم الجاهزيّة، ففعلُ الوعدِ تطمينٌ وترجيةٌ لهم بالقول ألّا يخافوا، ولا يحزنوا، والقولُ منَ اللّه بالوعد يقينٌ ناجزٌ، وفيه منَ التّربيةِ لهم بالتّعريضِ والتّعجيبِ من شأنهم ما فيه، بدليل إسنادِه إلى اسمِ

وعدُ اللهِ يقينٌ ناجزٌ، واللّه لا يخلف الميعاد

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/4.

الألوهيّةِ الجامعِ ﴿يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾! أي: إذا كان وعدًا كائنًا منَ اللهِ العظيمِ، فكيف تستمرّون على مخافتِكم؟ فأولَى بكم أن تَتَهيّبوه في وعده، ولا تتهيّبوا مَن هم تحتَ قبضته وقهره منَ الكافرين[1].

سرُّ استعمالِ المضارع ﴿يَعِدُكُمُ﴾، واتّصاله بالضّمير:

التّذكيرُ بوعْدِ العليم الخبير؛ لاستِحْضارِ المَشْهدِ، وأخْذِ العِبْرةِ

قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، صيغةُ المضارع لحكاية الحالِ الماضيةِ لاستحضار صورتِها[2]، وللدّلالة على أنَّ الوعدَ تكرّرَ عليهم أكثر من مرّةٍ؛ لتثبيتهم.

معنى ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾، وعلّةُ تخصيصِها بالإضافة:

نَفَرَتِ الأنْفُسُ مِنَ النّفير، وقد كان فيه النّصْرُ والخَيْرُ

المرادُ بإحدى الطّائفتين: العير أو النّفير، وعلّةُ تخصيصها بالإضافة، التّنبيهُ على أنّ إحداها هو المرادُ فقط، وليس المرادُ كليهما.

أثر إعرابُ جملة ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾:

بَدلُ الاشتمال مُبيِّنٌ لكيفيّة الوعد

منصوبُ المحلِّ على البدلِ مِن إحدَى؛ أي: يَعِدُكم أنَّ إحدى الطّائفتين كائنةٌ لكم؛ أي: تتسلَّطون عليها تسلُّطَ المُلّاكِ، وتتصرّفون فيهم كيف شئتم، فهي بدلُ اشتمالٍ مُبيّنٍ لكيفيّة الوعد[3].

إيثارُ المصدرِ المؤوَّلِ على الصّريحِ في: ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾:

الجملة المؤوّلة، عبارةٌ عن معنيين منظومين في سلكٍ واحدٍ

إيثارُ المصدرِ المؤوّلِ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ على المصدر الصّريح (كونها لكم)؛ للجمع بين توكيد الإسنادِ بين المبتدأ والخبر، والدّلالة على المصدر لإفادة ثبوتِ حكم الاختصاصِ والاستحقاقِ بين المسند إليه والمسند. وهذا التّعبيرُ آكَدُ في الوعد مِن مثلِ أن يُقالَ: (وإذ يعدُكُم اللّهُ أنّ إحدى الطّائفتين لكم)؛ لأنَّ تركيبَ الآيةِ إثباتٌ بعدَ إثباتٍ: إثباتٌ للشّيء في نفسِه، وهي إحدى الطّائفتين، وإثباتٌ له في بَدَلِه[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وعد).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/4.
(3) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 457/9، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/4.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 500/9.

دلالةُ لام الاستحقاقِ والمِلكِ في: ﴿لَكُمْ﴾:

اللّامُ لامُ الاستحقاقِ والمِلكِ؛ أي: مملوكة لكم، والمِلْكُ عرفيٌّ غيرُ حقيقيٍّ؛ بمعنى: الولايةِ على الغنائم، واستخلافِهم عليها بعدَ الظّفرِ بها[1].

المِلْكُ العُرفيّ، يعني الولاية على الغنائم وليس الحيازة

اختلافُهم في دلالةِ الواو، في: ﴿وَتَوَدُّونَ﴾:

واو ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ تتقلَّبُ بين ثلاثة معانٍ؛ فهي إمّا عاطفةٌ وإمّا حاليّةٌ وإمّا مستأنفةٌ، والمعنى على العطف: يَقعُ الوعدُ منَ اللّه، والودُّ منكم، والمعنى على الحاليّة: يعدُكم اللّهُ في حال ودِّكم الطّائفةَ غير ذاتِ الشّوكةِ، وهي العير.

إفادةُ الجمعِ بين الإخبار عنِ الله بالوعد والإخبار عنهم بالودّ

والفرقُ بينهما في العطف: إفادةُ الجمعِ بين الإخبار عنِ اللّه تعالى بالوعد والإخبارِ عنهم بالودّ، وفي الحال: إفادةُ التّزامنِ بين الوعدِ والودِّ؛ أي: أنّ اللّه جلَّ شأنُه وعدَهم في وقتٍ يودّون فيه ذلك، والمعنى على الاستئناف: الإخبارُ بما كان مِن أمرِهم[2].

إيثارُ استعمالِ الفعلِ ﴿وَتَوَدُّونَ﴾:

التّعبيرُ بالفعل ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ لتضمين رجائِهم الغنيمةَ من غير قتالٍ معنى الحبِّ، وأنّ انفعالَهم بتمنّي ذلك كان بوازِعِ إلحاحِ اللهفةِ والحرصِ على المألوف، ولو عبّر بالتّمنّي أو الرّجاء لم يكن يلزمُ اشتماله على المحبّة والألفة[3].

التّعبيرُ بالودِّ يَصِفُ الانفِعالَ المَحمومَ في القلوب

سرُّ استعمالِ المضارعِ ﴿وَتَوَدُّونَ﴾:

صيغةُ المضارعِ في قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ لتصوير حالةِ الانفعالِ الباطنةِ، وهي تَعترِكُ، وتنبِضُ بالوِدادِ المتواترِ، الّذي لا يأفُلُ فيها، ولا يَسكنُ، فهو وِدادٌ مستمرٌّ لا يَفتُرُ، وصيغةُ المضارع تُطابِقُ

تصويرُ حالةِ الانفعالِ الباطنةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 269/9.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 269/9، والخطيب، التّفصيل في الإعراب: 325/9.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ودد).

خصيصةَ هذا الفعل، فإنّ عادةَ مَن يودُّ شيئًا أن يستمرَّ انفعالُه بحُبِّ الشّيءِ وطلَبِه حتّى يتحقّقَ، والمحبّةُ هي الّتي تُغريه فلا يزالُ مدفوعًا في ابتغائه.

معنى ﴿ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾، ودلالةُ ﴿غَيۡرَ﴾:

ذاتُ الشّوكة كنايةٌ عنِ الحرب

﴿ٱلشَّوۡكَةِ﴾ الحِدّةُ والقوّةُ، و﴿ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾: الفئةُ القويّةُ، مُستعارةٌ من واحِدَةِ الشّوكِ، شَبّه حِدّةَ الرِّماحِ وأدواتِ السّلاحِ بحِدّة الأشواك في النّباتات. وذاتُ الشّوكةِ كنايةٌ عنِ الحرب. و﴿غَيۡرَ﴾ اسمٌ يقعُ على خلافِ ما أُضيفَ إليه؛ أي: والمراد: خلافُ ذاتِ الشّوكة، ولإبهامِ لفظِ ﴿غَيۡرَ﴾ وعدمِ تَعرّفه أو تخصّصه بالإضافة، فإنّ استعمالَها هنا له نكتةٌ في دلالته: وهي عدمُ تَعيُّنِ مفهوم ﴿ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ المُقابِل، وهو (غنيمة العير)، بل إطلاقُ المُقابل؛ بمعنى: أنّهم لا يودّون قتالَ الفئةِ القويّةِ ذاتِ الشّوكةِ مُطلَقًا، حتّى ولو لم يحصلوا على غنيمةِ العيرِ؛ يعني: يودّون غيرَ ذاتِ الشّوكةِ أيًّا كان ذلك: إدراكُ غنيمةِ العيرِ، أو القعودُ والفواتُ، فالمعنيان داخلان في حيّزِ الغيريّةِ، ومفهومِ ذاتِ الشّوكة[1].

سرُّ التعبير بقوله: ﴿غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾:

اشتمالُ هذا التّركيب على سببِ ودادتهم لملاقاةِ العير

العدولُ عن (غنيمة العير) إلى قوله: ﴿غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾؛ لاشتمال هذا التّركيبِ على ثلاث دلالات: الأولى: أنّها غنيمةٌ صافيةٌ عن كَدَرِ القتال، فهي غنيمةٌ باردةٌ. الثّانية: التّصريحُ في التّركيب بذِكرِ (غنيمة النّفير)، وهي ﴿ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾؛ للتّعريضِ بأنّها هي المقصودة، ولكنّهم عدلوا عنها إلى غير ذاتِ الشّوكةِ، ولو قال: (غنيمة العير) لكان اقتصارًا على مرادهم من غير أن يتضمّنَ مرادَ اللّه صراحةً. الثّالثة: اشتمالُ هذا التّركيب على سببِ وِدادتهم

(1) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 205/2، ورشيد رضا، تفسير المنار: 500/9، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 4585/8.

لملاقاة العيرِ، وموجبِ كراهيتِهم لملاقاة النّفيرِ، وهو كونُ طائفةِ النّفيرِ ذاتَ شوكة، وكونُ العيرِ غيرَ ذلك.

فائدةُ الفعل ﴿تَكُونُ﴾، في: ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾:

عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم

ذِكرُ ﴿تَكُونُ﴾ مع إمكان أن يُقال: (وتودّون أنّ غيرَ ذاتِ الشّوكة لكم)؛ لتعيين مُتعلَّق الجارّ والمجرور؛ لدلالته على تأكيد معنى (الودّ)، والمبالغةِ في شأن ما تعلَّقَ به منَ الحرصِ على بلوغِ ما ودّوا وابتَغَوا.

دلالةُ اللّام في ﴿لَكُمْ﴾، وفائدةُ الجارّ والمجرور:

دلالةُ حرفِ الاختصاص على المِلكيّة والاستحقاق

حرفُ الاختصاص في قوله: ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ للملكيّةِ والاستحقاقِ، كما هو في قوله: ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾[1].

دلالةُ الواو في: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾:

الإخبارُ عن مرادِ الله استقلالًا، وما تعلّقَت به إرادتُه في السّياقِ

الواو في قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾؛ للاستئناف، فالجملة لا محلّ لها منَ الإعراب، وغرضُ استئنافِها الإخبارُ عن مراد اللّهِ استقلالًا، وتحديدُ ما تعلّقَت به إرادتُه في سياقِ القِصّة، أو للعطف على جملة ﴿وَتَوَدُّونَ﴾، ودلالةُ العطفِ إدخالُ الجملةِ ضِمنَ حيّزِ ما أُمِرَ بذكره في صدر الكلام؛ أي: واذكروا إذ يعدُكم اللّهُ إحدى الطّائفتين، واذكروا أنّ اللّه يريدُ أن يُحقَّ الحقَّ بكلماته[2].

سرُّ العدولِ عن (يودُّ) إلى (يريد):

التّعبيرُ بالإرادة أنفذُ أثرًا منَ التّعبيرِ بالوُدّ

عبّر في جانبِهم بفعل الوِدادِ ﴿وَتَوَدُّونَ﴾، وفي جانبِ اللّه تعالى بفعل الإرادةِ ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾، للإشارة إلى أنّ ذلك كان في جانب اللّهِ إرادةً، وإرادتُه سبحانه نافذةٌ، وهي المصلحةُ والخيرُ، والتّعبيرُ في جانبهم بـ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ للإشارة إلى أنّه مجرّدُ وُدٍّ، ولم يَصِر إرادةً؛ لامتناع أن يُريدوا ما لا يوافِق إرادةَ اللّه[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 269/9.
(2) الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 189/3، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/4.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3073/6.

نكتةُ التّصريحِ باسم الجلالةِ في: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾:

اللـهُ هـو الّـذي خـضـعَـت لألـوهـيّـتِـه كـلُّ الإراداتِ

التّصريحُ باسم الألوهيّةِ ﴿ٱللَّهُ﴾ يُشعِرُ بعِلّيَّةِ فعلِ (الإرادة) وسرعةِ جريانِه في النّفاذِ والتّحقُّقِ؛ لأنَّ الّذي يريدُ هو اللّه الّذي خضعَت لألوهيّتِه كلُّ الإراداتِ.

لطيفةُ استعمالِ صيغةِ المضارعِ في: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾:

إرادةُ اللـــهِ مـتـجـدّدةٌ، وآثارُها

صيغةُ المضارعِ في قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ﴾؛ لاستحضار إرادةِ اللّهِ، وهي تعملُ في الأشياء، وتتحرّكُ بالتّدبيرِ والتّقديرِ، فهي وإن كانَت قديمةً في أصلها إلّا أنّها متجدّدةٌ ومستمرّةٌ في آثارِها وأفعالِها.

بلاغةُ جناسِ الاشتقاقِ في: ﴿يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾:

إحـقـاقُ الـحـقِّ جزءٌ مِنه لا يتمُّ الحقُّ إلّا به

الجناسُ الاشتقاقيُّ في قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يدلُّ على أنّ أصلَ مادّةِ الحقِّ هو (حَقّ)، وأصلُ مادّةِ الباطلِ (بطل)، واستُعمِلَ لفظُ العاملِ والمعمولِ من نفس الاشتقاق؛ ليدلَّ على أنّ إحقاقَ الحقِّ منَ الحقِّ، وجزءٌ منه لا يتمُّ الحقُّ إلّا به[1].

الدّلالةُ الصّوتيّةُ في كلمتي: ﴿يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾:

الـحـقُّ صعبٌ إحـقـاقـه مع الأنـــفـــس المُظلِمةِ المُعانِدةِ وأفـعـالُـهـا مستمرّةٌ

الدّلالةُ الصّوتيّةُ لقوله: ﴿يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ (من جهة الحاءِ المهموسةِ الرّخوةِ والقافِ المجهورةِ الشّديدةِ، ومن جهة كسرِ الحاءِ وتشديدِ القافِ المفتوحةِ)، فالحاءُ المهموسةُ الرّخوةُ تدلُّ على طواعيةِ الحقِّ وسهولتِه في اصطكاكِه واحتكاكِه بقناعاتِ وضلالاتِ مَنْ يَطلبه أو يُعانِده، والقافُ المُضعَّفةُ المجهورةُ تدلُّ على تعقّدٍ شديدٍ في العمق أو الأثناء، وذلك ليس في ذات الحقِّ، بل في مُعالَجتِه وعمليةِ بيانِه والتّنظيرِ له، وكأنّ تركيبَ ﴿يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ صوتيًّا يدلُّ على معنيين: الأوّل: سهولةُ الحقِّ في نفسِه، وأنّه طَيِّعٌ في مُرورِه واحتكاكِه بالأنفُسِ السّليمةِ، فتنزلِقُ على صفحتِه قناعاتُ الباطل وضلالاتُه. الثّاني: صعوبةُ الحقِّ في إجرائه ومعالجته

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 271/9.

مع الأنفس المُظلمةِ المُعانِدةِ، أو أنّ إجراءَه وإظهارَ ثبوته بالبرهان والتّنظير صعبٌ وشاقٌّ؛ لافتقاره للعِلمِ وإتقانِ البرهانِ[1].

دلالةُ الباء في: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾:

الباءُ في قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ للسّببيّة؛ أي: بسببِ كلماتِه أرادَ إحقاقَ الحقّ، أو هي للمصاحبة؛ أي: يُحقُّ الحقَّ مصحوبًا بكلماته؛ أي: يُظهرُ الحقَّ مصحوبًا بدليلِه والبرهانِ عليه، أو الباء للملابسةِ والإلصاقِ؛ أي: يحقُّ الحقَّ مُلتبسًا بكلماتِه مُلتصقًا بها، فهي منه، وهو منها، تُداخِلُه ويُداخِلُها[2].

كلِماتُ اللهِ ضَمان لإحقاقِ الحقّ على الدّوام

معنى (كلمات الله)، وعلّة جمعها، في قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾:

جمعَ (كلماته) ليشملَ كلماتِه التّكوينيّةَ بالإيجاد والإرادة، وكلماتِه التّشريعيّةَ بالوحي المتلوِّ المسطور. وقُرِئَ: (بكلمته) بالإفراد لجعل المتعدّدِ كالشّيءِ الواحدِ، والمرادُ به: اسمُ الجنسِ فيؤدّي مؤدَّى الجمع، أو على أنّ المرادَ بها كلمةُ (كن) الّتي هي عند الكثير عبارةٌ عنِ القضاء والتّكوين[3].

اسمُ الجنس يؤدّي مؤدَّى الجمع في السّياق

فائدةُ إضافةِ (كلمات) إلى ضمير اسمِ الجلالةِ:

قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ جمعٌ مضافٌ إلى ضمير اسم الجلالةِ يفيدُ العمومَ، ويفيدُ تعريفَ الكلماتِ وتعيينَ مفهومِها، فيفيدُ جميعَ أنواعِ الكلماتِ الصّادرةِ منَ اللّه سبحانه بالوحي أو بإرادة الحكمِ والقضاءِ والتّكوينِ والإيجادِ[4].

كلّ ما صَدَرَ عن اللهِ فهو كلماته، وهي وحيٌ يوحى إلى رسله

دلالةُ الواو في: ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

جملة: (يقطع) لا محلّ لها، معطوفةٌ على جملة ﴿يُحِقَّ﴾، داخلةٌ في حيّز الإرادة: يريدُ أن يُحِقَّ، ويريدُ أن يقطعَ[5].

من قطع اللهُ دابِرَه، فلا واصلَ له

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حقق - حقحق).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 272/9.
(3) ابن عادل، اللّباب: 458/9، والآلوسيّ، روح المعاني: 161/5.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 271/9.
(5) صافي، الجدول: 176/9.

إيثارُ الفعلِ (يقطع):

من كفر قَطَع اللهُ دابرَه ومَصيره الاستئصالُ

عبّر بالفعل (يقطع) في: ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ لإفادته الاستئصالَ والإزالةَ التّامّةَ[1]، والمعنى أنّه: "عبّر بذلك كناية عن أنه لا يبقى من الكافرين من يجهر بكفره، ويعاند اللّه تعالى، ويستعلى عليه، وذلك فيه تشبيه للكفر بالجيش الّذي يولّي مدبرًا، ويقاتل بقناه، حتى يقضى عليه بقطع أدباره والقضاء عليه"[2].

سرُّ استعمالِ المضارع في: ﴿وَيَقۡطَعَ﴾:

سُنَنُ اللهِ جاريةٌ لا تتخلّفُ، ومن خالفها هَلَكَ

التّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله: ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ ليفيدَ أنّ تلك عادةُ اللّهِ في خلقه، فما تزالُ جاريةً حاصلةً، وسُنّةً من سُنَنِه الشّرعيّةِ والكونيّةِ، فلا تتخلّفُ، ولا تتبدّلُ بحال، فهي مُتجدّدةٌ بتجدّدِ أسبابِها وموجباتِها.

بلاغةُ المجازِ في: ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

مَثَلٌ سائرٌ

قطعُ الدّابرِ: إزالةُ الآخِر واستئصالُه، وهو كنايةٌ عن ذهاب الجميعِ وعدم بقاءِ أحدٍ منهم؛ أي: الاستئصالُ الكلّيُّ؛ لأنَّ المستأصِلَ يبدأُ في أوّلِ الشّيءِ، ويَذهبُ يستأصِلُ إلى أن يَبلغَ آخِرَه وهو دابِرُه، وهذا ممّا جرى مَجرى المَثَل[3].

فائدةُ إضافةِ ﴿دَابِرَ﴾ إلى ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

أثَرُ الإنسانِ هو آخِرُ ما يكونُ منه

إضافةُ ﴿دَابِرَ﴾ للكافرين أفادَت معنيين:

الأوّل: إفادةُ أنّه لن تبقى لهم باقيةٌ من تمكينٍ أو غَلبَةٍ؛ لانهزامِهم واستئصالِ أفرادِهم بالقتلِ على أيدي المؤمنين.

الثّاني: إسنادُ القطعِ إلى الدّابرِ، وليس للكافرين إيذانٌ بأنّه إذا بقيَت ذواتُهم فآثارُهم مقطوعةٌ، ومكائدُهم زائلةٌ على معنى

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قطع).
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/ 1063.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 272/9.

أنّ الأدبارَ هي أذيالهُم منَ المكرِ والكيدِ؛ لأنّ وجودَ الكافرين بأشخاصهم سُنّةٌ من سننِ اللّه، فيكون معنى قطعِ دابرِهم إزالةَ آثارهم وإبطالَها، وإنْ بقيَت أعيانُهم، فأثَرُ الإنسانِ هو آخِرُ ما يكونُ منه، والدّابِرُ هو الآخِر.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

يُحقّ ويُثبِت:

الإثباتُ لفظٌ عامٌّ في تثبيتِ ما يُراد تثبيتُه، أيًّا كان حقًّا أو باطلًا

يُثبِتُ الشّيءَ: يُديمُهُ ويُبقيه. يُحِقُّ الشّيءَ: يُثبِتُ أحقّيَّتَه بأن يستدلَّ له، ويُؤصّلَ لوجهِ كونِه حقًّا، فأصلُه: المطابقةُ والموافقةُ بين الدّليلِ والمدلول، فالإحقاقُ إثباتٌ خاصٌّ لما يُعتَقَدُ أحقّيَّتُه، والإثباتُ لفظٌ عامٌّ في تثبيتِ ما يُراد تثبيتُه أيًّا كان حقًّا أو باطلًا، فهو مُطلَقٌ في تثبيتِ كلِّ رأيٍ نتجَ ذلك عنِ الحقيقةِ أو عنِ الهوى. وعليه: فلفظُ (يُحِقّ) مُقَيّدٌ خاصٌّ، ولفظُ (يُثبِتُ) مُطلَقٌ عامٌّ[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ثبت - حق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»